المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

تَعظِيمُ اللهِ تَعَالى
فِي هِدايَات القُرْآن الكَرِيم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

مظاهر تعظيم الله تعالى عند الشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -

اسم الباحث

د/ عبدالعزيز بن الحسين بن محمد الأمين الشنقيطي

د. عبد العزيز بن الحسين بن محمّد الأمين الشنقيطي

مظاهر تعظيم الله تعالى

عند الشّيخ محمّد الأمين الشّنقيطي رحمه الله

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل علىٰ عبده الكتاب، هدًىٰ وذكرىٰ لأولي الألباب. وحلَّاه بالأحرف السَّبعة، وكمال الشِّرعة. وفصل الخطاب، وأودع فيه من الأسرار العجب العجاب. وصانه من شَين اللِّحن ومن كلِّ ما يُستراب، وجعله الآيةَ الباقيةَ علىٰ امتداد الأحقاب.

وأشهد أنّ لا إله الله وحده لا شريك له الكريمُ الوهاب، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله النَّبيُّ الأوَّاب، صلَّىٰ الله عليه وعلىٰ آله والأصحاب،،

أمَّا بعد؛ فإنّ من دواعي سروري وشكري لله -جلَّ وعلا- أن أتقدم لكرسي الهدايات القرآنية بهذا البحث؛ للحصول علىٰ شرف المشاركة في مؤتمرها الدَّولي الثاني، وعنوان هذا البحث: (**مظاهر تعظيم الله تعالىٰ عند الشَّيخ محمّد الأمين**)، وهذه المظاهر تُدوَّن في أوسع من ذلك، ولكني أوردتها علىٰ سبيل الإجمال والإيجاز، واستغنيت بظهور المثال عن التعليق وإبراز وجه الاستشهاد؛ خشية أن يطول البحث، ويخرج عن المقصود.

واقتضت طبيعة هذا البحث أن ينقسم إلىٰ مبحثين وخاتمة، علىٰ النحو التالي:

المبحث الأول: التعريف بالشيخ الأمين، وبيان المراد بمظاهر تعظيم الله تعالىٰ.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

المطلب الثاني: المراد بمظاهر تعظيم الله تعالىٰ.

المبحث الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالىٰ عند الشيخ محمد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد اشتمل علىٰ عدد من المظاهر.

المبحث الأول: التعريف بالشيخ الأمين، وبيان المراد بمظاهر التدبر

وفيه مطلبان:

المطلب الأوَّل: التَّعريف بالشَّيخ محمَّد الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

هو العلامة محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي بن أحمد بن المختار، من أولاد يعقوب بن جاكان الأبر؛ جدُّ القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجكنيين، ويعرفون بتجكانت، ويرجع نسب القبيلة إلىٰ حِمْيَر. ويُلقب الشيخ بآباء؛ بمدِّ الهمزة.

ولد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عام ١٣٢٥هـ، وكان مسقط رأسه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موريتانيا، في كيفا.

نشأ -أحسن الله مثواه- في جوٍّ يغلب عليه طلب العلم، وقد نما وترعرع وشبَّ متأثرًا بالوسط القبلي المحيط به؛ وهو وسط تحتضنه البادية، ويغلب عليه التنقل من مكان إلىٰ آخر طلبًا للمناخ الأصلح، تحدّث عن طفولته فقال: «توفي والدي وأنا صغير أقرأ في (جزء عمَّ)، وترك لي ثروة من الحيوان والمال، وكانت سكناي في بيت أخوالي، وأمي ابنة عمِّ أبي، وحفظت القرآن علىٰ خالي عبد الله بن محمد المختار بن إبراهيم بن أحمد نوح؛ جدّ الأب المتقدم»، وبعد أن رسخت قدمه في العلم قرر الخروج من بلاده لأداء فريضة الحجّ في السَّابع من شهر رجب عام ١٣٦٧هـ، علىٰ نيَّة العودة. وكان سفره برًّا، وقد كتب أثناءه رسالةً سمَّاها: (رحلة الحجّ)، ضمنها مباحث جليلة، وبعد وصوله إلىٰ هذه البلاد في أواخر شهر ذي القعدة من عام ١٣٦٧هـ، تجدَّدت نيّة بقائه في المملكة العربية السعودية.

وكان زاهدًا ورعًا، فالدُّنيا لم تكن تساوي عنده شيئًا، فلم يكن يهتم لها، ومنذ وجوده في المملكة العربية السعودية وصلته بالحكومة حتىٰ فارق الدنيا لم يطلب عطاءً، ولا مرتبًا، ولا ترفيعًا لمرتبه، ولا حصولًا علىٰ مكافأة أو علاوة، ولكن ما جاءه من غير سؤال أخذه، وما حصل عليه لم يكن يستبقيه، بل يوزعه في حينه علىٰ المعوزين؛ من أرامل ومنقطعين، وكان مستغنيًا بعفته وقناعته، بل إنّ حقه الخاص ليتركه تعففًا عنه؛ كما فعل في مؤلفاته وهي فريدة في نوعها، لم يقبل التكسب بها، وتركها لطلبة العلم، وكان يقول: لقد جئت معي من البلاد بكنز عظيم يكفيني مدىٰ الحياة، وأخشىٰ عليه الضَّياع. فقيل له: وما هو؟ قال القناعة.

توفي رَحِمَهُ اللَّهُ ضحىٰ يوم الخميس الموافق: ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ، وكانت وفاته بمكة المكرمة، مرجعه من الحجّ، ودفن في مقبرة المعلاة[١].

المطلب الثاني: المراد بمظاهر تعظيم الله تعالى

التعظيم لغةً:

من (عَظُمَ) وهو الكِبَرُ والقوة، قال ابن فارس: «العين والظاء والميم أصل واحد صحيح يدل علىٰ كِبَرٍ وقوة، فالعِظَمُ مصدر الشيء العظيم» [٢].

وقال ابن منظور: «والعظيم الذي جاوز قدره وجلَّ عن حدود العقول حتىٰ لا تُتَصور الإحاطة بكنهه وحقيقته»[٣].

وقد ورد لفظ (التعظيم) بصيغ مختلفة في القرآن الكريم أكثر من مئة وعشرين مرة كلها ترجع إلىٰ (عَظُمَ) بمعنىٰ الكِبَرِ والقوة، كقوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].

التعظيم اصطلاحًا:

تعظيم الله **تعالىٰ**: هو معرفة العظمة له سبحانه مع التذلل، والعظيم هو الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه، فالعظيم: ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه[٤].

وأمّا بالنسبة لمرادي بمظاهر تعظيم الله تعالىٰ في هذا البحث فهو: كل ما كان مشعرا ببيان عظمة الله تعالىٰ في كتابه، سواء كان هذا التعظيم بقول أو فعل.

---

(١) ينظر ترجمة الشيخ في: أضواء البيان (٩/ ٤٧٩-٤٨٣)، جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف لعبد العزيز الطويان (١/ ٢٩-٣٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٤/ ٣٥٥)، مادة (عَظُمَ).

(٣) لسان العرب لابن منظور (١٢/ ٤٠٩)، مادة (عَظُمَ).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٢/ ٤٩٦)، واشتقاق أسماء الله للزجاجي (١/ ١١١).

المبحث الثاني: مظاهر تعظيم الله تعالى عند الشيخ محمد الأمين

المظهر الأول: تعظيم الله تعالى لنفسه جلَّ وعلا

إنَّ توحيد الله تعالىٰ وبيانَ عظمته من أهمِّ مقاصد القرآن العظيم، وقد امتدح ربُّنا -جلَّ وعلا- ذاته العلية في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه العزيز، وبوجوهٍ مختلفة، فتارةً يذكر فضله علىٰ خلقه بإحيائهم من العدم، ويذكرهم في مواضع أخرىٰ بأنه وحده هو الذي يطعمهم ويرزقهم، ويمتنُّ عليهم في أكثر من موضع بأنه أرسل إليهم رسله ليخرجهم من الظلمات إلىٰ النور، إلىٰ غير ذلك من نعم ربنا التي لا تحصىٰ ولا تعد.

وكل هذه النعم دالة علىٰ عظمة الخالق سبحانه، فهو سبحانه المتفرد بهذه النعم وحده دون خلقه، فله الحمد في الآخرة والأولىٰ.

ومن أعظم مظاهر عظمة الخالق -جلَّ وعلا- تفرده سبحانه بعلم الغيب وقد بين الله ذلك في ثنايا كتابه العظيم في مواضع مختلفة، فيذكر ربنا سبحانه ذلك إجمالا كذكره لعلم الغيب مطلقا، ويفصل بعض الأمور التي اختص بعلمها دون خلقه في مواضع أخرىٰ، وقد بين الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ذلك في تفسيره، وفسر ما أجمله الله تعالىٰ بما فصله في آيات أخرىٰ، ومن الأمثلة علىٰ ذلك:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله **تعالىٰ**: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ **[الأنعام]**.

ذكر بعض أهل العلم أنَّ سبب نزول هذه الآية الكريمة: أنَّ النَّبيَّ ﷺ جاءه بدوي، فقال له: إني تركت امرأتي حبلىٰ، وتركت قومي في جدب، فأخبرني عمّا في بطن امرأتي: أذكر هو أم أنثىٰ، وأخبرني عن الوقت الذي يأتي فيه الغيثُ لقومي فإنّهم مُجدِبون، ثمّ قال له: ولقد عرفت الوقتَ الذي ولدتُ فيه، فأخبرني عن الوقت الذي أموتُ فيه. فأنزل الله: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢١/ ٨٧)، وابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠١)، عن مجاهد مرسلا، وعزاه السُّيوطيُّ في (الدر المنثور ٥/ ١٦٩) إلىٰ الفريابي وابن أبي حاتم، وذكر نحوه عن عكرمة، وعزاه إلىٰ ابن المنذر، وأورده الواحدي في (أسباب النزول: ٣٤٧) بغير سند.

ومفاتيح الغيب المذكورة في هذه الآية هي المذكورة في أخريات سورة لقمان في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾ [لقمان].

وتفسير النبي ﷺ لمفاتيح الغيب هنا بأنها الخمس المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلىٰ آخرها، ثبت في الصحيح عن أبي هريرة[(١)]، وعبد الله بن عمر[(٢)].

وجاء بأسانيد لا بأس عليها عن قوم آخرين من الصحابة، منهم بريدة[(٣)]، وابن عباس[(٤)].

هذه هي مفاتيح الغيب، فالوقت الذي تقوم فيه الساعة لا يعلمه إلا الله وحده تعالىٰ، لا يعلمه أحد ﴿لَا يُجَلِّيهَا لِوَقۡتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ﴾الوقت الذي ينزل فيه المطر لا يعلمه إلا الله وحده، ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِ﴾الذي هو في رحم أمه لا يعلم حقيقته إلا الله، أذكر هو أم أنثىٰ؟ قبيح أو جميل؟ شقي أو سعيد؟ لا يدري الإنسان ماذا يكسب غدا.

والمراد بـ﴿تَكۡسِبُ غَدٗا﴾ من خير أو شر، ما يكسب من الحسنات التي تقربه لله، وما يكسب من السيئات التي تبعده عن الله تعالىٰ، ويدخل في ذلك: ما يكسبه من مال ونحوه؛ لأن الله قد يغنيه من حيث لا يشعر، وقد يفقره من حيث لا يشعر؛ لأن الله بيده كل شيء.

﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُ﴾ لا يعرف الإنسان المحل الذي فيه قبره، وإن كان ساكنا في محل وإذا كتب الله أجله في محل لا بد أن تكون له حاجة إلىٰ ذلك المحل، فيذهب إليه ليدركه أجله فيه، وينفذ قضاء الله كما سبق في علمه الأزلي، وجاء بذلك حديث عن جماعة من أصحاب النبي ﷺ أن الله إذا كتب أن يموت رجل في محل، لا بد أن يجعل له حاجة إلىٰ ذلك المحل حتىٰ يذهب إليه ويدركه أجله فيه»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاريُّ (٥٠)، ومسلم (١٠).
(٢) أخرجه البخاري (١٠٣٩).
(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٥٣).
(٤) أخرجه أحمد (١/ ٣١٩).
(٥) أخرجه أحمد (٥/ ٢٢٧)، والترمذي (٢١٤٦)، من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وانظر: صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٢٧)، والمشكاة (١/ ٣٩). وأخرجه الترمذيُّ (٢١٤٧) أيضًا من حديث أبي عزَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وابن أبي حاتم (٤/ ١٣٠٣ - ١٣٠٤)، وانظر: صحيح سنن الترمذي (٢/ ٢٢٧) ولفظه عند الترمذي: «إذا قضىٰ الله لعبد أن يموت بأرض جعل له إليها حاجة».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن بين شواهد هذه الآية من القرآن: «وهذه الآية الكريمة وأمثالها في القرآن العظيم أجمع العلماء علىٰ أنه أكبر واعظ وأعظم زاجر نزل من السماء إلىٰ الأرض، فهي أعظم موعظة تلقىٰ يتعظ بها الناس. إلا أنه مع الأسف تمر علىٰ آذانهم ولم تكن في قلوبهم!! وهذا أكبر واعظ؛ لأنه أطبق العلماء علىٰ أن أعظم المواعظ، وأعظم الزواجر، هو واعظ المراقبة والعلم.

وضرب العلماء لهذا مثلا قالوا -ولله المثل الأعلىٰ-: لو فرضنا أن هذا البراح من الأرض، فيه ملك قتال للرجال إن انتهكت حرماته، سفاك للدماء إن انتهكت حرماته، ذو قوة وعزة ومنعة، وحوله جيوشه، وحول هذا الملك بناته ونساؤه وجواريه، أيخطر في بال أحد أن أولئك الحاضرين مجلس هذا الملك الجبار يقوم واحد منهم بغمزة عين إلىٰ حرم ذلك الملك أو ريبة؟ لا وكلا، كلهم خاضعون خاشعة عيونهم، خاشعة جوارحهم، غاية أمانيهم السلامة!! ولا شك أن خالق الكون - وله المثل الأعلىٰ - أعظم بطشا، وأشد نكالا إن انتهكت حرماته، وحماه في أرضه محارمه.

ولو قيل لأهل بلد: إن أمير ذلك البلد يبيت عالما بكل ما يفعلونه في الليل من الخسائس والدسائس لباتوا متأدبين، لا يفعلون إلا شيئا طيبا!! وهذا خالق السماوات والأرض، الملك الجبار، يخبرهم في آيات كتابه، لا تكاد تقلب ورقة واحدة من أوراق المصحف الكريم إلا وجدت فيها هذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾، ﴿يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾، ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾، ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ فينبغي علينا جميعا أن نعتبر بهذا الزاجر الأكبر، والواعظ الأعظم، وأن لا نتناساه؛ لئلا نهلك أنفسنا، ونعتقد أنا لو كنا في حضرة ملك جبار من ملوك الدنيا يموت ويأكله الدود، لا يمكننا أن نفعل إلا شيئا يسره ويرضيه، فعلينا أن نعلم أننا بين يدي ملك السماوات والأرض تعالىٰ، وأنه أعظم بطشا وأفظع نكالا إن انتهكت حرماته، وأنه عالم بكل ما نسر وما نعلن، فعلينا أن نعتبر هذا لنتعظ[1].

(١) انظر: العذب النمير (٤/ ٣٧٨).

المظهر الثاني: تعظيم الملائكة لله تعالى

خلق الله **تعالىٰ** ملائكته وجبلهم علىٰ طاعته، فكانوا مع قوتهم وشدة بأسهم منقادين لأمر ربهم لا يعصونه في شيء كما أخبر ربنا **تعالىٰ** في كتابه العزيز قال تعالىٰ: ﴿مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ **[التحريم]**، كما فطرهم سبحانه علىٰ عبادته وتسبيحه، فكانوا طائعين متذللين لربهم مسبحين له، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۝٢٠٦﴾ **[الأعراف]** .

وقد بين الشيخ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعظيم الملائكة لربهم، وانقيادهم لأوامره في مواضع شتىٰ.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۝٢٠٦﴾ **[الأعراف]**

ثم إن الله لما أمر عباده المؤمنين بهذه الآداب السماوية وهذه الأوامر الكريمة بين لهم أن ملائكته المقربين يطيعونه ويعبدونه ولا يستكبرون عن عبادته فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ وهم ملائكته -جلَّ وعلا- صلوات الله وسلامه عليهم: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ لا يتكبرون عنها أبدا، بل هم خاضعون متذللون عابدون لربهم -جلَّ وعلا-.

وأصل العبادة في لغة العرب: معناها الذل والخضوع. فالعبادة: الذل والخضوع علىٰ وجه المحبة خاصة. وكل مذلل مخضع تسميه العرب (معبدا) وقيل للعبد (عبد) لذله وخضوعه لسيده[(١)].

وهذا المعنىٰ معروف في كلام العرب، ومنه قول طرفة بن العبد في معلقته [(٢)]:

تُباري عِتاقًا ناجياتٍ، وأتبَعَتْ وَظيفًا وَظيفًا فَوق مَورٍ مُعبَّدِ

أي: طريقا مذللا لدوس الأقدام. وإنما قلنا: إن العبادة هي الذل والخضوع لله علىٰ وجه المحبة خاصة فلا تكفي المحبة دون الذل والخضوع، ولا يكفي الذل والخضوع دون المحبة؛ لأن الإنسان إذا كان ذله متجردا عن محبة كان يبغض الذي هو يذل له، ومن أبغض ربه هلك، وإذا كانت محبة خالصة لا خوف معها فإن المحب الذي لا يداخله خوف يحمله الدلال علىٰ أن يسيء الأدب، ويرتكب أمورا لا تنبغي، والله -جلَّ وعلا- لا يليق به شيء من ذلك، وهذا معنىٰ قوله: ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ .

---

(١) انظر: لسان العرب (٣/ ٢٧١) مادة (عبد).

(٢) ديوان طرفة بن العبد (٢٠).

﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ﴾ -جلَّ وعلا-، التسبيح في لغة العرب: معناه الإبعاد عن السوء، فسبحت الشيء معناه: أبعدته عن السوء.

وهو في اصطلاح الشرع: تنزيه رب العالمين -جلَّ وعلا- عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ سجود تواضع وتذلل وخضوع سبحانه وتعالىٰ.

فإذا كان ملائكته المقربون مع عظمهم ومكانتهم عنده لا يستكبرون عن عبادته وينزهونه ويخضعون ويتذللون له فكيف بنا معاشر بني آدم؟!(١).

المظهر الثالث: تعظيم الرسل لربهم جلَّ وعلا

الأنبياء هم أفضل البشر علىٰ الإطلاق، هذه دلالة الكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالىٰ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [النساء]، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية أنَّ رجلًا جاء إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله إنك لأحب إلي من نفسي وأهلي وولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتىٰ آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين، وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك. فلم يرد رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم شيئا، حتىٰ نزل جبريل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ الآية(٢).

والأنبياء عليهم السلام أخشىٰ الخلق لربهم -جلَّ وعلا- وأشدهم تعظيما له، قال نبينا ﷺ: «أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَه»(٣).

وقد بيَّن الشيخ الأمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعظيم الأنبياء لربهم -جلَّ وعلا- في مواضع شتىٰ، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسير قوله **تعالىٰ**: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ **[الأنعام]**.

«والمعنىٰ: قل لهم يا نبي الله، إن جميع عباداتي منصرفة إلىٰ من خلقني لا أشرك فيها غيره معه، فأنا موحد صرفا، مخلص لربي في عبادتي ﴿إِنَّ صَلَاتِي﴾ إذا صليت ﴿وَنُسُكِي﴾ أكثر

(١) انظر: العذب النمير (٤/ ٤٦٥).
(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (١٧٠).
(٣) أخرجه البخاري (٥٠٦٣).

العلماء علىٰ أن النسك هنا معناه: النحر في الضحايا والهدايا، ونحري إذا نحرت ﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر] وعلىٰ هذا فالنسك خاص بالذبح(١).

والمعنىٰ: أنه لا ينحر لغير الله، ولا يذكر علىٰ الذبيحة اسم غير الله، كما لا يصلىٰ لغير الله.

وقال بعض العلماء: ﴿وَنُسُكِي﴾ معناه: جميع عباداتي؛ لأن التنسك: التعبد، و (النسك) يطلق علىٰ جميع العبادات، ويدخل فيه دخولا أوليا: النحر والتقرب بالدم؛ لأن التقرب بالدماء في الضحايا والهدايا من أعظم القرب إلىٰ الله، وصرفه لغير الله صرف لحقوق الخالق إلىٰ المخلوق، وذلك معروف ما فيه، فعلىٰ أن (النسك) خصوص الذبح فالآية كقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾.

فخص هاتين العبادتين وغيرهما من العبادة مثلهما، وعلىٰ أن النسك جميع العبادة فقد شمل الذبح وغيره(٢)، وهذا معنىٰ قوله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾.

وهذا تعليم لنا أننا نخلص عبادة خالقنا ولا نشرك معه فيه غيره؛ لأنه أغنىٰ الشركاء عن الشرك، ولا يقبل من أحد أشرك معه غيره، وكل شيء يغفره إن شاء إلا الإشراك به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]

فعلينا أن نعلم أن هذا الذي أمر به سيدنا - صلىٰ الله عليه وسلم - من تحقيق العبودية لله، وإخلاص حقوق الله لله، وتحقيق معنىٰ (لا إله إلا الله) علينا أن نتبع فيه نبينا ﷺ.

ثم قال: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ [الأنعام]، قوله: ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٦٣﴾ أي: أول المسلمين من هذه الأمة؛ لأنه هو الذي دعاها إلىٰ الإسلام، فهو أول من أسلم؛ لأنه نزل عليه الوحي فآمن به ثم قام يدعو الناس إليه، أي: من هذه الأمة لا من جميع الناس. أما المسلمون قبله من الأمم الأخرىٰ فهم كثير جدا، وكل الأنبياء قبله مسلمون، وهذا نبي الله إبراهيم يقول الله فيه: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١﴾ [البقرة]، وهذا نبي الله نوح يقول: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٧٢﴾ [يونس]، وهذا نبي الله يوسف يقول: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠١﴾ [يوسف].

---

(١) انظر: ابن جرير (١٢/ ٢٨٣ - ٢٨٥)، وأضواء البيان (٢/ ٢٨٤).

(٢) انظر: القرطبي (٧/ ١٥٢)، أضواء البيان (٢/ ٢٥٤).

والله يقول: ﴿يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ﴾[المائدة:٤٤]، وأمثال هذا في القرآن كثيرة، فالمسلمون قبله كثير، ودين الإسلام قبله منتشر في شرائع الرسل. ومعنىٰ ﴿وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ أي: من هذه الأمة التي بعثني الله بشيرا ونذيرا إليها[1].

المظهر الرابع: تعظيم سائر المخلوقات لله جلَّ وعلا

تجلت عظمة الخالق تعالىٰ في جميع مخلوقاته، فهو القادر علىٰ كل شيء بيده ملكوت السموات والأرض، وتظهر عظمته من خلال آياته المبثوثة في هذا الكون، وهي جند من جنوده تعالىٰ قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٤﴾[الفتح:٤]

فربنا تعالىٰ يعظمه كل من في السماوات والأرض، فكر من في السماوات والأرض خاضع لأمر الله تعالىٰ، ولا يتحرك إلا بأمره، وقد جُبِلت هذه المخلوقات علىٰ تعظيم ربنا -جلَّ وعلا-.

وقد بين الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعظيم هذه المخلوقات ربها، وتسبيحها له سبحانه، وجمع عددا من مظاهر تعظيم هذه المخلوقات لربها عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾[الأنعام:٣٨]

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾ اختلف العلماء في مثلية هذه الأمم للآدميين علىٰ أقوال متعددة[2]، بعضها حق.

وحاصل هذا أن الله صرح بأن الدواب بأنواعها: بأنواع الوحوش، وأنواع السباع، وأنواع الطيور، كل نوع من هذه الأنواع أمة من الأمم التي خلق الله، أمثال الآدميين؛ لمشابهات بينها وبين الآدميين؛ لأن كُلًّا من الجميع مخلوق يحتاج إلىٰ خالق يخلقه، مرزوق يحتاج إلىٰ خالق يرزقه ويدبر شؤونه. والكل مضبوط في كتاب: أوصاف الجميع، وآداب الجميع، وصفات الجميع، ومقاديرهم، وألوانهم، إلىٰ غير ذلك.

ومما يكون من تلك المماثلة: أن الجميع يحشرون إلىٰ الله، كما قال هنا: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨﴾[الأنعام]، ونص علىٰ ذلك في التكوير في قوله: ﴿وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥﴾[التكوير] فلما كانوا أمما وأجناسا يعرف بعضها بعضا، وتسافد ذكورها إناثها فيتناسلون،

(١) انظر: العذب النمير (٢/ ٦٢٧).
(٢) انظر: ابن جرير (١١/ ٣٤٥)، القرطبي (٦/ ٤٢٠)، البحر المحيط (٤/ ١٢٠).

وهذا أب، وهذا أم، والكل مرزوق، يرزقه رازق، يدبر شؤونه، وقدر أرزاقه، وقدر آجاله، القدر الذي يرزقهم الله محدد، والقدر الذي يعيشون في الدنيا محدد، وأوصافهم وألوانهم وغير ذلك، وكل هذا في كتاب، والآدميون كذلك يحتاجون إلىٰ رازق يرزقهم، ويدبر شؤونهم، يضبط آجالهم وأعمالهم وأرزاقهم. من هذه الحيثية صارت هذه أمما أمثالنا.

وقد كان لسفيان بن عيينة -رَحِمَهُ اللَّهُ- في هذه الآية تفسير مشهور ارتضاه بعض العلماء[1]، ولا يظهر عندنا كل الظهور، كان ابن عيينة -رَحِمَهُ اللَّهُ- يقول في هذه الآية الكريمة: إن الله تبارك وتعالىٰ جعل في الآدميين شبها من أنواع البهائم، فجعل في بعضهم جراءة الأسد، وجعل في بعضهم سرعة عدو الذئب، وجعل في بعضهم فخر الطاوس وزهوه، وجعل في بعضهم شره الخنزير، وهكذا، وأن بينهما مشابهات من هذا النوع.

وأكثر العلماء علىٰ أنهم إنما كانوا أمما أمثالنا؛ لأن كلنا مخلوق مسكين مرزوق يدبر شؤونه خالق رازق، وأن ذلك الخالق الرازق قدر الأوقات الذي يوجدنا فيها، والأوقات التي يميتنا فيها، والأرزاق التي يرزقنا فيها، وقدر لكل منا قدر حياته ورزقه وأجله وقدر صفته التي يكون عليها، ومقداره الذي يكون عليه، ونحو ذلك.

وبهذه الآية يتفكر المسلم ويعتبر، ويعلم أنه بالنسبة إلىٰ ضعفه وافتقاره؛ وعظمة الله -جلَّ وعلا- وجلاله، أنه كالحيوانات والبهائم.

وكان بعض العلماء يقول: ﴿إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ كما أنكم تعرفون الله، وتسبحون الله وتوحدونه، فهم أمم أمثالكم كذلك .

ويدل لهذا أن الله -جلَّ وعلا- قال: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقال -جلَّ وعلا-: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾ [النور: ٤١].

ومما يقدح في هذا القول أن هذا النوع تستوي فيه الجمادات مع البهائم؛ لأنه دل الكتاب والسنة علىٰ أن الجمادات تشارك البهائم في هذا، والله في آية الأنعام هذه خص الحيوانات حيث قال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ أما ذلك الإدراك وتسبيح الله فالجمادات تشارك فيه البهائم، ويشملها عموم قوله: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤].

---

(١) انظر: القرطبي (٦/ ٤٢٠)، البحر المحيط (٤/ ١٢٠)، شفاء العليل لابن القيم (٧٧).

وقد سبَّح الحصىٰ بيد النبي ﷺ. وقد ثبت في صحيح البخاري في قصة الجذع -وهي متواترة [١]- أن الجذع الذي كان يخطب عليه النبي ﷺ لما تحول عنه إلىٰ المنبر فقد النبي ﷺ فحن حنين العشار، والمسجد غاص بالناس، والصحابة يسمعون حنينه، حتىٰ جاءه النبي ﷺ يسكته كما تسكت الأم ولدها[١].

وقد ثبت في (صحيح مسلم): أن النبي ﷺ قال: «إني لأعرف حجرًا كان يسلِّم عليَّ بمكة»[٢].

وقد قال الله -جلَّ وعلا- في كتابه: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا﴾ -أي من الحجارة- ﴿لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] لما يصعق من أعلىٰ الجبل إلىٰ أسفله نازلا خوفا من رب العالمين -جلَّ وعلا-، كما قال تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقد قال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ [ص: ١٨] فصرح بتسبيح الجبال، وقد قال -جلَّ وعلا-: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والإشفاق: الخوف.

معناه: أن هذه الجمادات، من السماوات والأرض والجبال، عندها إدراك يعلمه الله، ونحن لا نعلمه، حيث أبت من التزام التكليف وأشفقت، وهذه حقائق دل عليها الكتاب والسنة. والملحدون الذين يقولون: «هذه أمثلة وتخييل وتصوير بما ليس بواقع».

كل ذلك من صرف كتاب الله عن ظاهره المتبادر منه بغير دليل، وذلك لا يجوز؛ إذ لا مانع عقلا أن يخلق الله للجمادات إدراكات يعلمها هو ونحن لا نعلمها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ وكذلك يخلق للبهائم إدراكات، وقد نص القرآن علىٰ كثير من ذلك، نص علىٰ قضية النملة وخطبتها العظيمة التي قال فيها: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل].

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٥٦٣)، شمائل الرسول ﷺ لابن كثير (٢٤٣)، فتح الباري (٦/ ٦٠٣)، شرح الشفا (١/ ٦٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٧٧).

وذكر قصة الهدهد ومحاجته لسليمان، ونسبته الإحاطة لنفسه ونفيها عن سليمان ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ [النمل]، وبين أنه يفهم أن يذهب بالكتاب إلىٰ بلقيس وجماعتها ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [النمل][1].

المظهر الخامس: جوانب من تعظيم الله في حياة الشيخ الأمين

إنّ الإنسان إذا خالط القرآن بشاشة قلبه، وتدبره وتمعن في معانيه ازداد إيمانه بربه، وكان له أشدَّ تعظيما وتوقيرا له من غيره.

ومن أهم ثمرات تدبر القرآن الكريم أن يمتثل المسلم ما جاء في القرآن، ويلتزم به، فالتدبر الكامل هو الذي يظهر أثره علىٰ العبد، وذلك بامتثال أوامر القرآن واجتناب نواهيه، والشيخ الأمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- كل من تتلمذ علىٰ يديه أو جالسه أو رافقه يلحظ تأثره وتعظيمه للقرآن، وأسوق هنا بعض الجوانب التي يظهر فيها أثر القرآن علىٰ الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

الجانب الأول: التأثر والبكاء عند تفسير القرآن الكريم

التأثر بالقرآن والبكاء عند سماعه دليل علىٰ تدبره، والشيخ الأمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- كان يبكي عند تفسيره للقرآن، ولا يملك العبرة، وهذه من صفات المؤمنين التي امتدحهم بها ربنا سبحانه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال]، وكما قال تعالىٰ: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٨]، ومن الأمثلة علىٰ ذلك من سيرة الشيخ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: عند تفسير قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف]، في درسه في المسجد النبوي، بعد صلاة المغرب، عند ما شرع في تفسير هذه الآية تأثر وغلبته العبرة، فبكىٰ ولم يستطع التوقف عن البكاء حتىٰ أُذن لصلاة العشاء[2].

فهذا الموقف يدل علىٰ شدة تأثر الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بالقرآن؛ لأنّ الإنسان -في الغالب- إذا خلصت نيته لا يبكي في الملأ إلا إذا غلبه البكاء، فبكاء الشيخ الشديد أمام الناس، وعدم

(١) انظر: العذب النمير (١/ ٢١٣).

(٢) هذه القصة ذكر الشيخ صالح المغامسي -الداعية المعروف- أنه حضرها، وسمعتُها منه غير مرة.

القدرة علىٰ إكمال الدرس، فيه دلالة علىٰ شدة تأثر الشيخ بالقرآن، هذا ما ظهر للناس، فكيف إذا كان في خلوته، فلا شك أنّ العبرة تكون أقرب وأسرع، هذا ما توحيه الدلائل والظن بالشيخ.

الجانب الثاني: زهده في الدنيا

قال عنه ابنه الدكتور عبد الله -حفظه الله- «كان رَحِمَهُ اللَّهُ لا يريد الدنيا، ولا يهتم بها، ويقول: الذي يفرحنا أن الدنيا لو كانت ميتة لأباح الله منها سد الخلة، وكان يقول: لم أقترض قط لأحد، ولم أبع، وترك لي والدي ثروة فكنت أعيش منها، وكان عندي كنز عظيم أرجو الله ألا يضيع مني؛ هو القناعة».

وقال أيضًا: «وقد أخبرني أيضًا: أنه كان في المدينة، وكان لا يوجد عنده أي مال، وقد وعده أحد جيرانه أن يقترض له مالًا، ولما أراد الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن يأتيه وجده يشتغل، وعليه ملابس مبتذلة، فرجع عنه وكأنه وجد في نفسه قليلًا أنه في عازة، قال: ولم أشعر حتىٰ خررت ساجدًا في الطريق في الغبار، ورفعت رأسي وعندي فرح ونشوة لا يعلمها إلا الله إكرامًا لما أعطاني من العلم، فكيف أريد دنيا وربي أكرمني بالعلم، وبفهم كتاب الله، فذهبت إلىٰ البيت وكأن الدنيا كملت لي لاستشعاري نعمة الله عليّ بما أعطاني من فهم القرآن، وقد سدَّ الله لي تلك الحاجة من غير أن أسأل أحدًا إكرامًا منه وفضلًا».

وقال أيضًا: «كان رَحِمَهُ اللَّهُ يخاف من الدنيا، ويكلمني بقوله: «احذر من الدنيا؛ فإنها كالماء المالح، والشيطان يكذب عليك ويقول: «اجمع الأموال لتتصدق بها، وتبني بها المدارس، وتعمل بها الأربطة، وهو يكذب عليك، يريد أن يضيع وقتك، فإذا جمعت المال لا أنت تعطيه للناس، ويشغلك عن عبادة الله، فهذا شيطان يريد أن يصرفك عن ما هو خير لك، وأنا أقدر الناس علىٰ أن أكون أغنىٰ الناس، وتركت الدنيا لأني أعلم أنه إذا تلطخ بها العبد لا ينجو منها إلا من عصمه الله، ولم يوجب الله عليك أن تجمع الأموال لكي تتصدق بها علىٰ الناس، فاحذر يا ولدي من الدنيا، واعلم أنها كالماء المالح، وأن أهل الدنيا في شغل وتعب؛ فصاحب الدنيا النهار يشتغل في البضاعة والتجارة، وفي الليل يفكر فيها، ويموت عنها، وقد لا يترحم عليه الورثة، يقولون: هذا ماله مات عنه، فاحذر يا بني من الدنيا»[1].

(١) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف:(١/ ٣٨-٣٩).

الجانب الثالث: اجتنابه للغيبة

الغيبة من أكثر الأدواء انتشارًا بين المسلمين، وهي كبيرة من كبائر الذنوب، ومع ذلك استسهلها كثير من الناس، وأطلقوا لألسنتهم العنان، فخسروا أجورهم وتحملوا أوزار غيرهم، ولم يكن الشيخ الأمين -رَحِمَهُ اللَّهُ- يغتاب أحدًا، ولا يسمح بغيبة أحد في مجلسه، وكثيرًا ما يقول لإخوانه: «تكايسوا»، أي: من الكياسة والتحفظ من خطر الغيبة، ويقول: «إذا كان الإنسان يعلم أنّ كل ما يتكلم به يأتي في صحيفته، فلا يأتي فيها إلا الشيء الطيب»[(١)]. قال في رحلته: «ثم جئنا آخر النهار للقرية المسماة آتية فالتمسنا عربيًا نبيت عنده، فدعانا رجل عربي، والله ما سألت عن اسمه ولا اسم أبيه خوفًا من الغيبة، فأنزلنا في مكان يعوي منه الكلب وأغلقه علينا من الخارج» [(٢)].

وقال عنه ابنه الدكتور عبد الله -حفظه الله-: «كان يكره الكلام في الناس، أو التكلم في الدنيا، وكان لا يرضىٰ من طلابه، ولا من جلسائه أن يغتابوا أحدًا، ويقول لهم: «يا أبنائي وإخواني إن قتل الأولاد وأخذ الأموال يهون، لكن أخذ حسناتي وأنا شايب فهذا لا سكوت عليه، هذا خور وضعف، وأنا رجل مؤمن وهذه البقعة ملكنيها الله فلا يكون لأحد الغيبة فيها، ولا تأكلوا لي أعراض الناس، والله لو أخذتم مالي لتغاضيت عنكم، ولكن تأخذوا لي حسناتي وأنا شايب، هذا لا صبر لي عليه».

وقال أيضًا: «وقد كنت يومًا أنا وأحد الطلاب، وكان عنده شيخ يصحح عليه تأليفًا له، وكنا في مكة، فقال أحد الجلوس: «ويُكره التأليف من مقصِّر، فضحكت أنا، فغضب، وقال: «يا بني ماذا فعلت لك؟ كيف تأكل الغيبة في المسجد الحرام»[(٣)].

الجانب الرابع: ورعه عن الفتيا

قال عنه ابنه الدكتور عبد الله -حفظه الله-: «إنه في آخر حياته أصبح لا يتكلم إلا في كتاب أو سنة، ويقول: «كلام الناس لا أضعه في ذمتي. إذا كان عندي علىٰ المسألة نص من كتاب أو سنة أقول بها، وإذا لم يكن عندي نص أقول: «الله أعلم؛ لأن الله يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ

(١) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف:(١/ ٤٠).
(٢) رحلة الحج:(٨٧).
(٣) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف:(١/ ٤٠).

﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وفي يوم من الأيام جاءه طلبة من الكويت، وسألوه عن مسائل من الأمور المستحدثة، فقال الشيخ: «أجيبكم من كتاب الله تعالىٰ».

فاشرأبت أعناق الحضور لسماع هذه الإجابة من كتاب الله تعالىٰ، فقال: «أقول لكم: الله أعلم، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾، والله لا أعلم فيها شيئًا من كتاب ولا سنة، وكلام الناس لا أضعه في ذِمَّتي، اذهبوا إلىٰ غيري»[1].

(١) ينظر: جهود الشيخ في تقرير عقيدة السلف (١/ ٤١).

الخاتمة

وهنا وقف البحث علىٰ ثنية الوداع، وهم قِبْليّ مزنه بالإقلاع، وأسطر في هذه الخاتمة شيئًا مما اختزنته الذاكرة من النتائج والوصايا أثناء كتابة البحث:

أولًا: ضرورة الحرص علىٰ جمع الاستنباطات التدبرية عند المفسرين المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين، وضمها في مؤلف.

ثانيًا: تكثيف المجالس العلمية الخاصة بتدبر القرآن الكريم وبيان مظاهر عظمة الخالق سبحانه، من خلال المعاهد العلمية والمدارس القرآنية، والدروس العلمية الخاصة والعامة.

ثالثا: هناك مجموعة من الدراسات يمكن أن تُجرىٰ حول مؤلفات الشيخ الأمين – رَحِمَهُ ٱللَّهُ – التفسيرية، منها:

- استنباطاته التفسيرية والتدبرية.
- اختياراته في المسائل التفسيرية الخلافية.
- تطبيقاته للمسائل الأصولية علىٰ القرآن الكريم.
- اختياراته اللغوية في تفسيره.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ نبينا وقدوتنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

١- أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري. تحقيق: عصام الحميدان. دار الإصلاح، الدمام، الطبعة الأولىٰ، (١٤١١ هـ).

٢- اشتقاق أسماء الله لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النها وندي الزجاجي، أبي القاسم، تحقيق: د. عبد الحسين المبارك، طبعة: مؤسسة الرسالة

٣- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان.

٤- البحر المحيط: محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي الغرناطي. دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، الطبعة الثانية، (١٤١٣ هـ).

٥- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم): عبد الرحمن بن محمد ابن إدريس (ابن أبي حاتم). تحقيق: أسعد محمد الطيب. ط: مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولىٰ، (١٤١٧ هـ).

٦- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. تحقيق: محمود وأحمد شاكر. دار المعارف، القاهرة، ومكتبة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثالثة، (١٣٨٨ هـ).

٧- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، طبعة: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٢هـ

٨- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار إحياء التراث العربي، بيروت، (١٩٦٥م).

٩- جهود الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تقرير عقيدة السلف، للشيخ عبد العزيز ين صالح بن إبراهيم الطويان، طبعة مكتبة العبيكان.

١٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين السيوطي. دار المعرفة، بيروت.

١١- دلائل النبوة: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي. تحقيق: عبد المعطي قلعجي. ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٥ هـ).

١٢- ديوان طرفة بن العبد: تحقيق: درية الخطيب. مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة دار الكتاب، (١٣٩٥ هـ).
١٣- رحلة الحج إلىٰ بيت الله الحرام، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، طبعة دار عالم الفوائد.
١٤- سنن الترمذي: أبو عيسىٰ محمد بن عيسىٰ بن سورة الترمذي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. مطبعة البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، (١٣٩٥ هـ).
١٥- شرح الشفا: الملا علي القاري. ط: الكتب العلمية، بيروت.
١٦- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل: ابن القيم الجوزية. دار المعرفة، بيروت، (١٣٩٨ هـ).
١٧- شمائل الرسول ﷺ: ابن كثير. تحقيق: مصطفىٰ عبد الواحد. دار القبلة، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٩هـ).
١٨- صحيح سنن الترمذي باختصار السند: محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٠٨ هـ).
١٩- صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة الإسلامية، إستانبول.
٢٠- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، جمعها: الدكتور خالد السبت، طبعة دار عالم الفوائد.
٢١- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علىٰ، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري، طبعة دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٢٢- مجالس مع فضيلة الشيخ محمد الأمين، للشيخ أحمد بن محمد الأمين بن أحمد الجكني، طبعة مؤسسة غراس.
٢٣- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن قيم الجوزية، طبعة دار الكتاب العربي.
٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، طبعة مؤسسة الرسالة.
٢٥- المسند: أبو عبد الله أحمد بن حنبل. ط: المكتب الإسلامي، دار المعارف بمصر عام (١٣٧٣هـ)، بتحقيق: أحمد شاكر.

٢٦- مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي. تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني. ط: المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٥ هـ).
٢٧- مع صاحب الفضيلة والدنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ، للشيخ عطية بن محمد سالم، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد الثالث:١٣٩٤هـ.
٢٨- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس القزويني الرازي، أبي الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، طبعة: دار الفكر.